



بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرة علمية بعنوان :

أمهات صنعن أمجاداً

إعداد وتقديم : د. سماء الجعبري

إشراف د. هانيبال يوسف حرب

قدمت هذه المحاضرة على التليغرام على : الأكاديمية الأمريكية FG-Group

نساء صنعن أمجاداً لنا فخلد التاريخ ذكرهن كرموز من رموز الإسلام .. جعلن همهن نصرة الإسلام والعلو بالأمة ..

سنذكر هنا تلك النساء ليكون لنا بهن خير قدوة في تربية جيل الأمة .

(1) الإمام أحمد بن حنبل :

أمه صفية بنت ميمونة بنت عبد الملك الشيباني .

ولد الإمام أحمد في آخر القرن الثاني ، وعاش في بيتٍ فقير .

مات أبوه وهو طفل ، فتكفلت أمه الزاهدة العابدة الصائمة القائمة بتربيته .

وهذا دور المرأة يوم أن تكون سالحة ، ويوم أن تكون عابدة ، ويوم أن تكون مستقيمة .

ينشأ أطفالها على لا إله إلا الله ، ويحبون الله ورسوله ، ويحبون كتاب الله ، وينقادون إلى بيوت الله .

قال أحمد رحمه الله : فحفظتني أمي القرآن وعمري عشر سنوات ، فحفظ كتاب الله واستوعاه في

صدره ، ففرت الوسوس والشياطين من صدره ، فأصبح عابداً لله .

- رعاية أمه له :

قال أحمد رحمه الله : كانت أمي تلبسني اللباس ، وتوقظني ، وتحمي لي الماء قبل صلاة الفجر وأنا

ابن عشر سنوات .

ثم كانت تتخمر وتتغنى بحجابها وتذهب معه إلى المسجد ؛ لأن المسجد بعيد ، ولأن الطريق مظلمة ،

فانظرو رحمكم الله إلى المرأة الصالحة .

لقد عاش في هذا الجو ، وفي هذا البيت ، وكان كل همه أن يعبد الله بكلام الله ، وأن يكون عبداً خالصاً لله .

- رحلته في طلب الحديث :

قال : فلما بلغت السادسة عشرة من عمري ، قالت لي أمي : اذهب في طلب الحديث ، فإن السفر في طلب الحديث هجرة إلى الله الواحد الأحد .
قال: فأعطتني متاع السفر .

أتدرون ماذا أعطته من الزاد؟! كم أعطته من الألوف؟! كم أعطته من الدراهم والدنانير؟! ما كانت تملك شيئاً ، وإنما صنعت له ما يقارب عشرة من أرغفة الشعير ، ووضعتها في بقشية من قماش معه، ووضعت معها صرة ملح ، وقالت: يا بني! إن الله إذا استودع شيئاً لا يضيعه أبداً ، فأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه .

(٢) الإمام الشافعي :

محمد بن إدريس الشافعي أمه من قبيلة الأسد وهي قبيلة عربية أصيلة و لكنها ليست قرشية .
ولد الشافعي في أسرة فقيرة جداً ، وبعد ولادته بعامين توفي أبوه فقررت أمه العودة بابنها محمد إلى مكة لأنه قرشي حتى لا يضيع نسبه ولأن له سهم من ذوي القربى .
ولكن هذا المال الذي كانت تأخذه من سهم ذوي القربى كان قليلاً وقليلاً جداً .
فعانت هي وولدها محمد حرماناً وفقراً .
ولكن الأم كانت قوية الشخصية راسخة الإيمان ، على جانب من العلم والحفظ .
فأرادت لولدها أن يتعلم و يحفظ فدفعت به إلى مكان في مكة يقرىء الصبيان .
ولكن الأم لم تجد أجر المعلم ، فكان الشيخ المقرئ يهمل ويقصر في تعليم الصبي المتعطش إلى العلم والمعرفة ولكن كان المعلم إذا علم صبياً شيئاً ، تلقف الشافعي ذلك الكلام ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضي شأنه أخذ محمد مكانه وراح يعلم الصبيان تلك الأشياء .

ورآه المعلم يفعل ذلك ، فارتاحت نفسه و نظر إلى أنّ الشافعي يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التي يطمع بها منه فترك طلب الأجرة واستمرت هذه الحال مع الشافعي حتى حفظ القرآن وهو دون العاشرة من عمره ومنهم من قال وهو ابن سبع سنين .

- تحصيله وطلبه للعلم :

كانت أمه قد وجّهته لأتقان القراءة والتلاوة والتفسير على شيوخ المسجد الحرام ولم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى أتقن ذلك إتقاناً جيداً ملفتاً للنظر .

ثم اتجه الشافعي إلى علم الحديث فلزم حلقة سفیان بن عيينة ومسلم بن خالد الزنجي في المسجد الحرام .

وكان الورق غالي الثمن باهظ التكاليف والشافعي وأمه في قلة وفقير فكيف يفعل في التدوين ؟ يُروى أنه كان يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التي يلقي بها فيستوهبها ويكتب على ظهرها .

هذه المعاناة وفقته إلى أن يعتمد على الحفظ فتكوّنت لديه حافظه قوية ساعدته مستقبلاً على حفظ كل ما يسمع وما يُلقى إليه من علم ومعرفة .

(٣) الإمام مالك :

عظيمنا إماماً نشأ في طيبة الطيبة ، ونهل من معينها ، وارتفع ذكره ، وملاً الأرض علمه ، جلس للتدريس في جنبات هذا المسجد النبوي الشريف حتى إذا قيل: عالم المدينة أو إمام دار الهجرة لا ينصرف إلا إليه .

ولد الإمام مالك بن أنس في مدينة رسول الله ، نشأ محباً للعلم مغترفاً منه ، على الرغم من فقره وقلة حاله .

أمّ الإمام مالك أحسنت توجيه ابنها ، أتت له وقالت : " اذهب إلى ربيعة فتعلم من أدبه قبل علمه " هذه المرأة عرفت دورها في الحياة ، ورسالتها في التربية وإعداد الجيل ، وأن الأدب قرين العلم ، ولا قيمة للعلم بلا أدب ، والأدب في ابتداء العلم وأثناء العلم ، فصنعت هذه المرأة رجلاً صنع أمة .

ليست مهمة الأم تغذية الجسد والعمل على وقايته من الأمراض فحسب بل رسالتها أجل وأكبر وأعظم، رسالتها تقوية الإيمان ، وبناء الشخصية ، وتنمية العقل ، وحفز الهمم نحو المعالي ، ولن تبلغ ذلك حتى تدوي كل الهموم الدنيوية أمام هم التربية الأكبر .

لقد صبغت هذه الكلمة حياة مالك حقيقة لا قولاً ، وواقعاً لا خيالاً ، فغدا مدرسة في الأدب ينهل طلابه من هيئته وسمته ، وتقتبس الأمة من سيرته .

قال مالك لفتى من قريش : " يا ابن أخي ، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم " .

وقال ابن وهب : " الذي تعلمنا من أدب مالك أكثر مما تعلمناه من علمه " .

وقد تعلموا منه علماً كثيراً .

وقال يحيى بن يحيى التميمي : " أقمت عند مالك بن أنس بعد كمال سماعي منه سنة أتعلم هيئته وشمائله ، فإنها شمائل الصحابة والتابعين " .

إن الأسلوب الحديث في التعليم يبدو أحياناً نصوصاً مجردة من مضامينها الأدبية ، ومدلولاتها الخلقية ففقد التعليم بذلك بهاءه وجماله ، وأثره واتساعه ، وإذا فصل بين العلم والأدب فمهما كان المخزون العلمي والثراء المعرفي فإنك واجد ضعفاً شديداً في أثر العلم على الأخلاق والسلوك ، وتركيز الأعمال وصلاح القلوب ، ولا خير في علم امرئ لم يكسبه أدباً ويهذبه خلقاً .

الجفوة بين العلم والأدب تفرز أعراضاً مرضية ، منها التهجم على العلماء ، والتطاول على الفضلاء ، وسوء الأخلاق ، وشذوذ السلوك ، وعقوق الوالدين ، والتقليد الأعمى في الهيئة واللباس ، مع اعتداء على المعلمين والمربين بالأقوال والأفعال .

(4) ام عبدالرحمن الناصر :

أم عبد الرحمن الناصر .. الخليفة الأموي عبد الرحمن الناصر الذي حكم الأندلس وأحيا الخلافة الأموية هناك ، ثم خاض المعارك والملاحم مع الأوربيين ، وأصبحت قرطبة في عهده مقر خلافة يحتكم إليها أمراء أوروبا وملوكها ، ويذهب إلى جامعتها طلاب العالم .

سر هذا كله أمه التي ربته ، فقد نشأ عبد الرحمن يتيماً ، فاعتنت أمه بتربيته ورعايته حتى أصبح من أعظم الخلفاء المسلمين في أوروبا كلها .

(5) ام محمد الفاتح :

هما خاتون من النساء اللاتي صنعن التاريخ في الإسلام ، أم السلطان محمد الفاتح ، الذي فتح القسطنطينية (إسطنبول في تركيا حالياً) عاصمة الإمبراطورية الرومانية القديمة . وكان لـ " هما خاتون " دور كبير في تربية ابنها ، فقد كانت تأخذه في صغره بعد صلاة الفجر ، لتريه أسوار القسطنطينية ، لتحفره على نشر الإسلام ، وتقول له : " أنت يا محمد ستفتح هذه الأسوار " . وكان يسألها : " كيف يا أمي أفتح هذه المدينة ؟ " ، فترد عليه قائلة : " بالقرآن والسلطان والسلاح وحب الناس " .

وقيل أنها كانت دائمة الحديث لابنها عن فتوحات الإسلام أيام الرسول الكريم ، لتزرع فيه التربية الإسلامية وتنشئه على تعاليم الإسلام .

قامت بتربية هذا الطفل حتى بلغ عمره 22 سنة ومات أبوه السلطان مراد الثاني ، ودخلت أمه عليه وهو يبكي على أبيه ، فقالت له : أنت تبكي فماذا تفعل النساء؟! ، قم القسطنطينية بانتظارك وأعداء أبيك في كل مكان " .

وبفضل أمه كان محمد الفاتح عبقرية فذة من عبقریات الإسلام ، فلم يكن مجرد فاتح مغوار وقائد عسكري مظفر .

بل كان يجمع بين صفات القيادة العسكرية الموفقة ، وبين الثقافة العلمية الرفيعة ، قاد الجيوش ، وفتح المدن والدول ، وتذوق العلوم والآداب والفنون بمختلف أنواعها وقدرها ورعاها .

(6) يوكابد بنت لاوي :

يوكابد بنت لاوي المصرية الملقبة بـ " المتوكلة " هي أم النبي موسى وهارون ومريم ، وزوجة عمران ، وكانت كذلك زوجة سالحة مؤمنة ، ونزل فيها قول الله تعالى في سورة القصص { وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } .

ومن المعروف أن ولادة هارون ومريم جاءت في ظروف عادية ، أما موسى فقد ولد بعد نبوءة حلم بها فرعون وفسرها له المنجمون بأن صبياً سيولد من بني إسرائيل سوف يسلبه الملك ويخرجه وأهله من مصر .

ولحكمة من الله لم تظهر على أم موسى علامات الحمل كغيرها ، وفي هذه الظروف الصعبة وضعت حملها ، وكانت تخشى قتل رضيعها على يد جنود فرعون ، وأشفتت عليها " القابلة " (السيدة التي تساعد على الحمل والولادة) فوعدها أن تكتم الأمر ولا تخبر أحداً ، وما إن أبصر جنود فرعون " القابلة " ، حتى اقتحموا البيت .

لمحت مريم الحرس يهمون باقتحام البيت فأخبرت أمها التي ألهمها الله أن تلف الوليد في خرقة بسرعة وتلقيه في جوف التنور "الفرن" دون أن تدري ماذا تفعل ، وعندما دخل الحرس بحثاً عن الوليد لم يجدوا شيئاً فانصرفوا ، ودارت عين الأم تبحث عن وليدها فإذا صوته يخرج من التنور (الفرن) ، فأسرعت إليه وأخرجته ولم يمسه أذى بفضل الله .

نجحت أم موسى في إخفاء وليدها عن الأعين لمدة ثلاثة أشهر ، ولم تقدر على مواراته لمدة أطول ، حتى أوحى الله لها أن تقذفه في اليم " نهر النيل " ، كما ذكر القرآن الكريم **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾** **سورة القصص .**

وبالفعل قامت أم موسى بوضعه في سلة من القصب ، وغطت جسده حتى لا يظهر ، وخبأته بين حشائش نهر النيل ، في شجاعة لا تقدر عليها أي أم لا تتمتع بالإيمان الكافي ، وتقادفته الأمواج حتى غاب عن بصرها ، فاشتد قلقها وبعثت أخته الكبرى مريم لتطمئن عليه وتراقبه من بعيد .

حملت الأمواج موسى إلى روضة عند قصر فرعون ، كانت مستقى للجواري ، وما لمح الجواري السلة التي يوجد بها موسى حتى أخذوها وحملوه إلى السيدة "آسية" زوجة فرعون ، وكانت عاقراً لا تلد ، فوضح الله محبة الطفل في قلبها ، وعندما علم فرعون بالأمر أمر بقتل الطفل فناشدته زوجته ألا يفعل ، وأن يتركه لتتخذه ولداً لها .

كان الطفل دائم البكاء لأنه جائع ، ورفض أن يرضع من أي مرضعة ، فخرجوا به إلى السوق يبحثون عن مرضعة تصلح له ، فرأتهم مريم دون أن يعرفوها ، فقالت لهم "أعرف من يرضعه" ، وأخذتهم

إلى أمها ، ليعود الطفل إليها وتقر عينها ، ومكث الطفل في بيت أمه حتى الفطام في رعاية وحماية فرعون وجنوده ، وسمي الطفل باسم " موسى " والذي يعني حرفياً " المنتشل من الماء " .

هكذا تربي النساء أبنائها وتحسن تأديبة قبل تعليمة ..

الحديث عن العظماء من العلماء ليس أمراً سهلاً ، فمهما اجتهدت لتستوعب حياة أحدهم فسيعجز قلمك، ويقصر علمك ، بل قد يغيب عنك الأهم دلالة والأبلغ تأثيراً . سيرة العظماء من العلماء الأوائل هي القدوة المثلى ، وإبرازها تحفيز لفتياتنا وفتياتنا للإفادة منها ، ولئلا يلتفتوا لقدوات هزيلة هابطة لا وزن لها في الحياة ولا قيمة لها في التاريخ ..

حديثنا عن العلماء ليس تعصباً لأحد منهم ، فكل إنسان يؤخذ منه ويردّ إلا المعصوم .